شرح كتاب الفتن من صحيح البخاري: الدرس الخامس

لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيزبن أحمد البداح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه وصلى الله وسلم على خير خلقه وأنبيائه

فهذا كتاب الفتن من صحيح البخاري

قال البخاري غفر الله له ولشيخنا والحاضرين : **بَابُ ظُهُورِ الفِتَنِ**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد. فهذا الباب عقده المؤلف في ظهور الفتن، وقد مضى معنا في الدرس الماضي عرض بعض أنواع الفتن التي حدثت في الأمة وما ترتب عليها من الآثار والدروس والعبر المستفادة منها وبَقِيَ مما يَهُم في هذا الباب أسباب السلامة من الفتن وأسباب السلامة منها جاء في بعض الأحاديث التي أوردها البخاري في هذا الكتاب لكنها مفرقة فَمَرَّ معنا مثلًا الصبر وسيأتي معنا حديث حذيفة في لزوم جماعة المسلمين وسيأتي معنا أيضًا في هذا الكتاب الفرار من الفتن لكن جَمْعها في مَوْطِن واحد أفضل حتى يتصورها المرء تصورًا كاملًا.

١- من أعظم أسباب السلامة بل هو أعظم أسباب السلامة من الفتن: الاعتصام بالكتاب والسنة قال عز وجل:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...**﴾[آل عمران:١٠٣] قيل إن حبل الله هو القرآن وقيل حبل الله الإسلام وجاء عند البيهقي والحاكم أن النبي ﷺ قال: ((**تَرَكْتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**))، وجاء في حديث علي رضي الله عنه المشهور عند الترمذي وهو حديث فيه مقال قال: ((**ستكون فتن قالوا: فما المخرج يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم**))، والمراد بالاعتصام بالكتاب والسُّنة الرجوع إليهما وتعظيمهما والإقبال على قراءة القرآن وتدبره والعمل به وحفظه في الصدور والإقبال على السُّنة وحفظها والوقوف على فِقْهِهَا فإن لهذا أثرًا في النجاة من الفتن ؛ لأن الوحي نور وبهذا النور تنقشِع ظلمات الفتن أمام العبد فإن لم يكن مع العبد نور ..نور الوحي.. نور القرآن والسنة فإنه يكون مع أهل الظلمات.

٢- من أعظم أسباب السلامة من الفتن: لزوم جماعة المسلمين وسيأتي معنا في حديث حذيفة أنه قال:" كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مَخافةَ أن يُدْرِكَني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فأتى الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((**نعم**)) قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: ((

نعم وفيه دَخَن.)) قلت: وما دَخَنُه؟ قال: ((قومٌ يهدون بغير هديي ويَسْتَنُّون بغير سنتي تعرف منهم وتُنْكِر.)) قلت: فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: ((دُعاةٌ على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها.)) قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم .)) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال: ((فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت و أنت على ذلك)) فالنبي ﷺ وَجَّه حذيفة وأوصاه عند نزول الفتن بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم. وقد قال بعض المفسرين أن المراد بحبل الله في قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران:١٠٣] قال حبل الله: الجماعة وجاء في حديث الافتراق المشهور عند أصحاب السنن والإمام أحمد وفيه: ((وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة .)) قالوا:" من هي يا رسول الله؟ في رواية أنه قال:((الجماعة))؛ ولهذا المؤمن إذا أراد السلامة عند حصول الفتن فيلزم جماعة المسلمين، وقد جاء الترغيب في لزوم جماعة المسلمين فجاء عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : ((من أراد بَحْبُوحَة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.))، وجاء أيضًا عند أحمد أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((الجماعة رحمة والفُرقة عذاب)) ، وجاء أيضًا عند الترمذي وغيره: ((ثلاثٌ لا يَغِلُّ عليهن قلب مسلم: أن تُناصِحوا ولاة الأمور وأن تَلْزَمَ جماعة المسلمين))؛ولهذا الوصية للمؤمن أن يحرص على لزوم جماعة المسلمين عند نزول الفتن.

٣- من أسباب السلامة من الفتن التَّثَبُت والتبين والتريث عند الحكم على الأشخاص والوقائع والأحوال والرايات فإنه قد تظهر في المجتمع أو في مجتمعات المسلمين رايات جديدة، شخصيات جديدة أحوال جديدة وقائع جديدة ماذا يفعل المسلم؟ يَتَرَيَّث في الحكم عليها حتى يتأمل وينظر إن كان من أهل التأمُّل والنظر أو رجع إلى العلماء الراسخين في معرفة الحكم على هذه الوقائع والأحوال والرايات والشخصيات واليوم كثير من الناس يتعجلون في الحكم على الأحوال والوقائع والرايات والشخصيات بل بعضهم يتأثر بها أو ينخرط فيها أو يعتقد عقائدها ثم يورط نفسه في مقالات أو مواقف أو قرارات لا تُحْمَدُ عقباها ؛ ولهذا التريث والأناة مما يُحَبُّ ويُحْمَد. قال النبي عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم لأَشَجِّ بن عبد القَيْس :

((إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله: الحِلْمُ والأناة.)) ، وروى مسلم أن المُسْتَوْرِد القرشي قال عند عمرو بن العاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى ﷺ يقول : ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)) فقال له عمرو بن العاص:" أَبصِر ما تقول" فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. فقال عمرو:" إن فيهم لَخِصالًا - يعني الروم – وذكر منها إنهم لأحلم الناس عند فتنة والله عز وجل أمر بالتثبت والتبين كما في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [الحجرات:٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [النساء:٩٤]، وعند البيهقي : ((الحِلْم من الله أو الأناة من الله والعَجَلَة من الشيطان)) ، ومن يتأنَّ

ويتثبت ويتمهل في كل أحواله إلا في شأن الآخرة فإن المطلوب في شأن الآخرة المسارعة والمسابقة ﴿وَسَارِعُوا...﴾ [آل عمران:١٣٣] و﴿سَابِقُوا...﴾ [الحديد:٢١] لكن المراد هنا ما يكون من الأحوال والوقائع والرايات والشخصيات في الغالب أن الذي يتأنى ويتمهل ويتريث لا يندم. من الذي يندم؟ الذي يندم هو الذي يتعجل؛ ولهذا تقول العرب:

" العجلة أُم الندامات" وبعضهم يقول:" العجلة أُم الرذائل.

٤– من أسباب السلامة من الفتن: الإقبال على العبادة جاء عند مسلم: ((بادِروا بالأعمال فِتنًا)) وجاء أيضًا: ((العبادة في الهَرْج- يعني في الفتن- كهجرةٍ إلي)) ولماذا كان ذلك؟ لأن الناس في الفتن ينصرفون عن العبادة وينشغلون عن الخير فكان المُوَفَّق هو الذي ينصرف إلى الخير وينشغل بالعبادة وواقع الناس يدل على هذا فإن الناس لما فُتِحَتْ عليهم المُلْهيات والصوارِف والشواغل أقبلوا عليها واشتغلوا بها وانصرفوا عن طاعة الله ولهذا تدخل المساجد مثلًا فقَلَّ ما تجد الذاكر والتالي والمصلي أعني النافلة والسبب في هذا أن الناس انشغلوا بهذه الفتن التي فُتِحَتْ عليهم.

٥– من أسباب السلامة من الفتن: الإقبال عن النَّفْس والانشغال بها وقد جاء عند الترمذي: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) وجاء في حديث أبي ثعلبة الخُشَني عند الترمذي أيضًا أن النبي ﷺ قال: ((إذا رأيت شُحًّا مُطاعًا وهَوىً مُتَّبَعًا ودنيا مُؤْثَرة وإعجاب كُلِّ ذي رأيٍ بر أيه فعليك بخاصة نفسك ودَعِ العَوَام)) المؤمن في زمن الفتن يُقْبِلُ على نفسه بإصلاحها وتقويمها وتهذيبها وتزكيتها والمؤمن المُوَفَّق هو الذي ينشغل في حياته عمومًا بما سَيُسْأَلُ عنه يوم القيامة والمَخْذول هو الذي ينشغل بما لا يُسْأَلُ عنه يوم القيامة وينشغل بهذه الأمور التي تشغله عن أشياء سَيُسْأَلُ عنها يوم القيامة؛ لهذا المؤمن المُوَفَّق هو الذي يُقبِل على خاصة نفسه ويترك عنه فُضول المُخالَطَة و فُضول المُخالَطَة اليوم ليست في المجالس فقط رُبَّما الإنسان يجلس وحده لكنَّ فُضول المُخالَطَة في هذه الوسائل وسائل الاتصال والتواصل هذه أجهزة تنفع من جانب لكنها تضر من جوانب والذي يرى حال الناس يرى أنهم غَلَّبوا جانب ما يضر على جانب ما ينفع فَصَرْف الأوقات في فُضول المُخالَطَة بالإقبال على هذه الوسائل ومتابعة كل شَيْء ما يضر أكثره وما لا ينفع أكثره وما لا فائدة فيه أكثره . هذا له تأثير على القلب وعلى الأحوال وعلى السلوك والإنسان كلما خلا بنفسه وَوُفِّقَ للخَلْوَة بربه ولو شيء يسير من يومه وليلته فإن في ذلك خيرًا عظيمًا له في إصلاح قلبه وتزكية نفسه وتطهير جوارحه.

٦- من أسباب السلامة من الفتن الصبر وجاء في البخاري في حديث مضى معنا: ((من رأى من أميره شيئًا يكرهُهُ فليصبر)) وجاء في الحديث ((سيأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجَمْر)) فالمسألة

تحتاج إلى صبر : صبر على طاعة الله وصبر على معصية الله وصبر على أقدار الله المُؤلِمة فإذا لم يكن عند الإنسان صبرٌ فَرَّطَ في الطاعة وارتكب المعصية وسَخِطَ على أقدار الله المؤلمة.

٧- من أسباب السلامة من الفتن دعاء الله وسؤاله واللجوء إليه سبحانه وقد جاء في صحيح مسلم: ((تَعَوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن)) وكان من دعاء النبي ﷺ كما عند الإمام أحمد: ((وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون)) وجاء الإشارة إلى هذا في قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما كما عند أبي شيبة أنه قال:" سيأتي على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا دعاء الغَرَق" يعني دعاء الخائف الوَجِل المُقبِل المُتَعَلِّق بالله عز وجل؛ ولهذا يحرص المؤمن على أن يُكْثِر من دعاء الله عز وجل وسؤاله؛ لأن زمن الفتنة هو زمن التقلُّب والتغيُّر والتحوُّل والمؤمن غايته ومطلوبه أن يلاقيَ الله عز وجل وهو على الإيمان والتوحيد.

أحسن الله إليكم شيخنا.

بَابُ ظُهُورِ الفِتَنِ

حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الوَلِيدِ قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الأَعْلَى قال: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : ((يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ ، وَيُلْقَى الشُّحُّ ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ)) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّمَ هُوَ ؟ قَالَ : : ((القَتْلُ القَتْلُ)) وَقَالَ شُعَيْبٌ ، وَيُونُسُ ، وَاللَّيْثُ ، وَابْنُ أَخِي الزُّهْرِيِّ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

هذه الأحاديث في بيان أشراط الساعة وقد جاءت أحاديث كثيرة في بيان أشراط الساعة.

الأشراط جمع شَرَط والشَرَط العلامة والساعة من أسماء القيامة وهي القِطعة من الزمن وأشراط الساعة هي العلامات التي تخرُجُ قبل القيامة إيذانًا بقُربها والحكمة من أشراط الساعة إيقاظ الغافلين وتنبيه الراقدين وحث الناس على الاستعداد والتوبة إلى الله عز وجل والعلماء مختلفون في تقسيم أشراط الساعة؛ لأنه لم يَرِد في النصوص تقسيمٌ مُحَدَّدٌ لهذه الأشراط فمنهم من يقول هي أشراطٌ صغرى ومنهم من يقول هي أشراطٌ كبرى ومنهم من يقول أشراطٌ ظهرت وانقضت مثل موت النبي عليه الصلاة والسلام وأشراطٌ ظهرت ولا تزال وأشراطٌ لم تظهر بعد ومنهم من يقول إنها أشراط صغرى وهي التي ينطبق عليها التقسيم الآنف الذكر ظهرت وانقضت ظهرت ولا تزال ولم تظهر بعد ثم يقول أشراطٌ كبرى ومنهم من يقول أشراط مُعتادة الوقوع وأشراط غير مُعتادة الوقوع ثم هم مختلفون أيضًا في تحديد أشراط الساعة الكبرى فبعضهم يجعلها العشرة الواردة في حديث حذيفة بن أَسيد : ((لا تقوم الساعة حتى تَرَوا عشر آيات..)) وبعضهم يُدخِل عليها المهدي وبعضهم يُدخِل عليها غير المهدي.

المقصود إن العلماء اختلفوا في تقسيم هذه الأشراط ولم يرد في الشرع ما يدل على هذا التقسيم أو ذاك. هنا المؤلف أورد هذا الحديث حديث أبي هريرة وفيه ذِكر شيء من أشراط الساعة فقال: ((...يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ...)) ما المراد بتقارب الزمان؟ يعني نقص بركة الزمن وهذا واضح وإليه مال ابن حجر رحمه الله وقيل قِصَر الزمن أو سرعة مرور الزمن ويُؤَيِّدُ هذا حديث الإمام أحمد: ((لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السَّعْفَة)) وقيل غير ذلك. تقارب الزمن ونقص العمل. نقص العمل جاء في روايات أخرى ورَفْعُ العلم وجاء وقَبْضُ العلم والمراد بنقص العمل يعني نقص العمل للآخرة وسبق معنا ذِكْرُ تغير الزمان وأن ذلك ظهر بعد موت النبي ﷺ وذكرنا أقوال الصحابة رضي الله عنهم في تغير الزمن بعد موت النبي ﷺ ومن أوضح ما يكون به تغير الزمن نقص العمل الصالح في الناس ويُلقى الشُّح يعني الحرص فيصير الناس عندهم شُحٌّ والشُّح هنا عام شُحٌّ بالعلم و شُحٌّ بالجاه و شُحٌّ بالمال شُحٌّ بكل ما يمكن بذله ونفع الناس به وتظهر الفتن والمراد بالفتن هنا الفتن العامة التي سبق بيانها ويَكثُر الهَرْج فسره النبي عليه الصلاة والسلام بالقتل. جاء عند أحمد: ((حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وعمه وابن عمه)) وجاء في روايات في الصحيحين: ((حتى لا يدري القاتل لِمَ قَتَل ولا المقتول فيمَ قُتِل)) قد قال بعض شُرَّاح الحديث أن هذا بدأ منذ حصلت الفتن بين المسلمين من عهد عثمان رضي الله عنه وما بعده إلى قيام الساعة والمراد بالقتل هنا ليس ما يكون بين المسلمين والكفار وإنما ما يكون بين المسلمين أنفسهم؛ ولهذا سيأتي معنا باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما وسيأتي معنا ((ليس منا من حمل علينا السلاح)) لأن في هذا شرح لهذا الحديث في كثرة القتل في آخر الزمان. ونقف عند هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.